# «آيات» من ثقافات دينية عدوانية وارهابية

حمدان حمدان*

■ في مدينة بوسطن الامريكية، وبتاريخ السادس والعشرين من ايار (مايو) 1922، يخطب السيناتور الجمهوري هنري كابوت لودج، وكان رئيسا للجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس، فيقول على مسمع جمع محتشد (ان الشعب اليهودي، يريد ان يكون له وطن في البلاد التي كانت مهدا لاجداده آلاف السنوات.. انني لا احتمل فكرة بقاء القدس وفلسطين في ايدي المحمديين (البعد الديني في السياسة الامريكية د. يوسف الحسن ص 47).

ولم تكن غيوم لودج السوداء، لتهطل من فراغ الجو البيوريتاني المشحون بلوثرية ساخطة ضد المسيحية الفاتيكانية والاسلام على حد سواء.

فمنذ ان سقطت غرناطة، فان الغرب رأى دولته الاولى وهي تبنى بطرد المسلمين، وقبل ذلك فان الصراع كان يقع في مخيال صليب خاص، فقد استهلت الحملة الصليبية الاولى، بقيادة وولتر المفلس وبطرس الناسك، (اسماء بابوية)، بواكير اعمالها المقدسة بذبح اليهود في اراضي الراين، وفي وصف للمؤرخ الامريكي نورمان شون يقول (ما ان سقطت مدينة القدس، حتى وقعت المذبحة العظيمة، فقد ذُبح المسلمون رجالا ونساء واطفالا.. اما بالنسبة ليهود القدس، فقد جمعوا في معبدهم الرئيسي، حيث اضرمت فيه النيران، واحرقوا وهم احياء..) ويتابع شون (ان حكم الله كان عادلا ورائعا.. فالمكان الذي ارتفعت فيه هرطقات المجدفين في حق الله، يتلقى الان دماءهم بغبطة وفرح (السعي وراء العصر الالفي السعيد. نورمان شون ص 48).

لم تكن الدعوات الاولى لشن حملات صليبية، باسم الصليب، اكثر من طلاء دهاني، يحجب خلفه ماهية الهدف وجوهره، فقد رأت عيون المفلس والناسك، كنوز الشرق وهي تلمع تحت وطأة اساطيره، فيما سمع آخرون رنين الذهب في بيت المسيح، والخلاصة فان الحملات الصليبية، تعتبر بحق بمثابة الطور التأسيسي الاول، للحملات الاستعمارية فيما بعد.. وفي العصر الحديث، فان الاساءة للرسول العربي (ص)، لم تنقطع عن سياق التعبير، فالكونغرس الامريكي لمجلسيه، اثناء التصويت على وعد بلفور، كان يستلهم آيات نبوئية معادية للاسلام (اننا باعترافنا بوعد بلفور، انما نُخلص شعب اليهود، من ايدي اتراك مسلمين كريهين) (من كتاب روبرت فانك بعنوان صراع الكونغرس مع الصهيونية 1919). وفي الاقرب الى زماننا، فان السيد بوش الاب، سيقول عند قصف العراق في عاصفة الصحراء 1991، (ان الله يقف في صفنا). وهو قول ديني لرئيس علماني!.. بعدها ستكون زلة اللسان من فم بوش الصغير (عن حرب صليبية جديدة)، وقد كان لنا ان نقبل ذريعة زلة اللسان هذه، لو انها تدحرجت من لسان رئيس امريكي غير مفتون بقساوسة من عيار بات روبرتسون وجيري فولويل وجورج أوتيس الخ. وللمعاينة نطرح بين اقواس، بعض (الدرر) من اقوالهم في كنسهم عن الاسلام.

فالقس روبرتسون (مُلهم بوش اللاهوتي)، يقول في خطبة له في الكنيسة المعدانية، (ان القرآن وتعاليم الاسلام، لا تعمل على سد العميق من حاجات الروح الانسانية.. اننا نعرف نحن المسيحيين من صميم قلوبنا، ان الله يقف الى جانب اسرائيل).

ونرة اخرى على لسان القس فولويل لرئيس وزراء اسرائيل المتوفى مناحيم بيغن، والمناسبة ضرب المفاعل النووي العراقي (ليباركها الرب هذه الإف 15 الامريكية، التي انقذت اطفال اليهود من حريق محقق)، وتنبغي الاشارة هنا، الى ان اخبار بيغن للقس فولويل، بخبر نجاح تدمير المفاعل، كان سابقا على اعلامه لرئيس الولايات المتحدة نفسه.

اما القس أوتيس فعنده ان اليهود في اي مكان (ما زالوا هم شعب الله المختار وان الله يبارك من يباركهم) (كنيسة العصمة المسيحية).

ورغم ان الاسلام، يعترف بالديانات السماوية جميعها، ويضع مراتب الانبياء كلهم في قدسية واحدة، بحيث ان الاساءة لواحد منهم، تعتبر في مرتبة الكفر، او المعصية الكبيرة شرعا، فاننا نجد بالمقابل، ان الديانات السماوية لا تعترف بالاسلام، بل وخارج (الجنتلمانية) الغربية النفاقية، حبا بالبترول وما تكنز الارض الاسلامية من ثروات عبر القارات، فان شيئا آخر في الاسلام، قد لا يستحق الاهتمام، الا من افراد لا تأثير لهم، وبالعكس تماما، اذ اضافة الى عدم الاحترام، فان الاسلام حظي بكراهية مبطنة، جعلت منه في مخيلة غربية حاقدة، العدو الاول بعد سقوط الشيوعية العالمية، ويكتب امريكيون واوروبيون كبار، عن مخاطر غول قادم، سيفرقع الغرب بنشيج طفل مسلم (الشاعر المعروف ت. س. ايليوت)، او ضرورة الاستعداد لمواجهة تهديد جديد ورهيب بعد ان نام الشيوعيون (المرشح للكونغرس ريتشارد كوندون)، او الخدر من عدو العالم رقم واحد صدام حسين، (نيوزويك. نيسان (ابريل) 1990)، او الاستنفار ضد ثور هائج قوامه مليار نسمة على هذه البسيطة (ليون أوريس في روايته الحج)، وقد ظهر المسلمون كأعداء اساسيين، منذ ظهور السيد وحتى ظهور دون كيشوت (مفكر المحافظين الجدد دانيال بايبس في مقالته المسلمون قادمون في ناشيونال ريفيو تشرين الثاني (نوفمبر) 1990) ويتابع (ان المسألة الاساسية تتصل بما اذا كان المسلم يقبل الحداثة، والجواب ليس في القرآن، بل بما هي عليه افعال ومسالك مليار مسلم في هذا العالم).

وفي صراع الحضارات فوق هذا الكوكب (هانتنغتون) ونهاية التاريخ على يد (فوكوياما)، اي نهاية الايديولوجيات الدينية والدنيوية، تكون الدائرة ضد الآخر قد اكتملت، ويصاحب ذلك تحذير من السناتور وليام لند (مستشار مرشح الرئاسة غاري هارت المنافس لبوش الاب)، حين في خطبة نارية يقول: «قد ينجح المهاجرون المسلمون في تخريب الحضارة الغربية من الداخل، وهو ما يذكرنا بالعام 1683، اي موعد الغرب مع الحصار العثماني لاسوار فيينا» ثم يضيف «ان اشكالية انهيار المعسكر الشيوعي، قد تنطوي على احتمال قيام جيوش اسلامية، بمحاصرة بوابات فيينا من جديد»!

وللمفارقة الغريبة، فان احياء الحدث التاريخي بخصوص بوابات فيينا، كان يتم في واشنطن، وليس في فيينا، وان المناسبة كانت في التحضير لعدوان عاصفة الصحراء على العراق.

ومع هذا الصخب التاريخي المتطاول، وتحت وطأة يهودية متفننة بالتطاول على رسول المسيحية قبل رسول الاسلام، فان الرعدة تصيب القارئ، وهو يطالع كتاب البروفسور اسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية: وطأة ثلاثة آلاف عام). وما تقوله نصوص التلمود بحق السيد المسيح وامه مريم العذراء. ويضيف شاحاك، ان النسخ من التلمود الاصلي لا توزع في اوروبا المسيحية، بل ما يوزع انما هي نسخ معدلة، اما النص الاصلي للتلمود، فهو حكر في ايدي رجال الدين اليهودي المعتمدين حصرا..

ومع ان كلمة واحدة بحق الهولوكست اليهودي، وهي واقعة تاريخية بشرية ودنيوية، قابلة لاعادة القراءة والتأويل.. الا ان قانون فابيوس الفرنسي، الذي لم يلحظ شدة ارهابه للفكر، مع قوانين عالمية اقتفت اثره بذريعة المعاداة للسامية، وكأن العرب آريون.. هذه القوانين تضع صاحب نقد لها، مهما كان وزنه، في قفص اتهامات وتوقيفات وغرامات.. تماما كما جرى للمفكر الفرنسي الاشهر، روجيه غارودي، حين سيق الى محكمة الهولوكست، ولا يساق غيره الى محكمة الإساءة للانبياء والشعوب.. وتحت وطأة شاحاك، يرسم كورت وسترغارد الدنماركي، لكتاب عن الارهاب الاسلامي، فهو اذا لا يستلهم رسوماته من ابداعاته، لان الابداع فكرة غير مخلوقة سابقا، بل هي تنبثق من رأس المبدع، مثل خروج منيرفا من رأس جوبيتر (أسطورة اغريقية)، لكن خروج رسومات كورت، تنبثق من تاريخ السموم العنصرية في صراع حضارات ونهايات تاريخ وفلسفات التدمير الخلاق، على لسان عصبة لصوص الشعوب في العولمة.. فكورت، كما نتوقع، لا يمتلك رأيا خاصا معرفيا بالاسلام، كي يمارس حرية رأيه فيه، من حيث ان فاقد الشيء لا يعطيه، فاذا كانت حرية الرأي، هي التنميط الامريكي عن الاسلام، فهو عدوان على الحرية وليس نصرة لها.

فالمجموعات الاسكندنافية من اصول الفايكنغ الجبلية، لا اسهامات فكرية هامة لها بخصوص الاسلام، ولو حدث فانه نادر ومحلي ولا عالمية له.. ولا ينشأ ذلك عن قصور ثقافي عالمي، بقدر ما يتعلق بعدم الاحتكاك التاريخي، فضلا عن حداثة دخول شعوب الفايكنغ في الديانات اصلا.

قد يعزو الرسام كورت، فكرة رسوماته الى مقولات كتاب عن الارهاب، أو الى بذاءة مقولات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكننا نشك انه قرأ شيئا مماثلا عن السيد المسيح، في تلمود اليهود الخاص، بل وربما اشد بشاعة في كل المقاييس، بحيث اننا لا نستطيع تدوين ما قيل بحق المسيح في التلمود.. احتراما واجلالا.

ان ظاهرة كورت، تتكرر يوميا، في مشاهد شتى من تدنيس القرآن في سجون غوانتنامو وافغانستان، وقتل المصلين وهم في مساجد الفلوجة وجنين، ومشاهد اشد هولا في ابو غريب وانتهاك اعراض وكرامات.

كان على كورت، صاحب الحق في الحرية، ان يعتمد حرية الحق، في العودة الى تاريخ قارته منذ الف عام، اي موعد الغرب مع حملته الصليبية الاولى، او بدقة اكثر، موعد الغرب مع حملته الارهابية الاولى، عله يبدع شيئا من رحابة تاريخ مفتوح على صراع العدوان والدفاع بين غرب وشرق، لا ان يحمل قلم رصاص، بضحالة عته مأفون، لا يعرف حدودا للحرية، وفيما اذا كانت هذه الحرية تبيح قتل الآخر كما الاعتداء على مقدساته. في النهاية، فان التطاول على الاسلام، لا يختلف بشيء عنه في التطاول على الاوطان، وتبقى انظمة مليار ومئتي مليون مسلم وعربي، في كون عالمي فسيح، هي المسؤولة الاولى عن تصاعد الجرأة في التطاول، هذا لو كان لاكثرها، حق فتح الفم.. الا في طلب امتلاء المعدة، وادامة العرش والنهب، وربما شهوات اخرى!

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

# صفقة الموانئ الامريكية وفوبيا الامن القومي

علي حسين باكير*

■ قامت شركة دبي القابضة «شركة موانئ دبي العالمية» مؤخرا وهي ملك لدول الامارات العربية المتحدة وتعتبر ثالث اكبر مشغّل للموانئ في العالم، بشراء شركة بريطانية في هذا الاطار بمبلغ 6,8 مليار دولار امريكي. ومن المفترض ان يدخل الاتفاق الفعلي حيّز التنفيذ في 3 آذار (مارس)، ويعطي هذا الشراء الحق لشركة دبي القابضة في ادارة 6 موانئ امريكية مع مرافقها وهي: نيويورك، ميامي، الزابيث، فيلاديلفيا، نيواورليانز، وبالتيمور. وقد قام السياسيون في هذه الولايات والمناطق بدقّ ناقوس الخطر محذرين من «وقوع منشآت حيوية في أيدي العرب» ومطالبين بالغاء هذه الصفقة وصد موافقة بوش عليها ومنعه عبر القنوات القانونية والاعلام.

### أسباب التخوف

استنادا الى الجهات المعارضة لهذه الصفقة، فالسبب الرئيس في رفضها هو وجود اثنين من خاطفي الطائرات في عملية 11 ايلول (سبتمبر) 2001 من التبعية الاماراتية، امّا السبب الثاني فهو التخوّف من ان تقوم الشركة التي تملكها الامارات بتوفير مدخل للارهابيين سواء عبر الافراد او الأسلحة الى ارض الولايات المتّحدة الامريكية.

هذا ويرى آخرون انّ التخوّف يأتي من حقيقة انّ الولايات المتّحدة يدخلها اكثر من 9 ملايين حاوية سنويا وبحجم هائل، الامر الذي يعني انّ عددا ضئيلا من هذه الحاويات تخضع للتفتيش الدقيق والكامل وهو ما يشير بدوره الى امكانية قيام أي جهات تنوي الحاق الضرر بالولايات المتّحدة الامريكية بتهريب رجال او اسلحة للقيام بأي عملية داخل امريكا عبر هذه الحاويات خاصّة ان اكثر من يثير القلق هو امكانية تهريب اسلحة دمار شامل عبر أي من هذه الحاويات غير الخاضعة للتفتيش.

### هل هذه المسوغات منطقية؟

بطبيعة الحال، يبدو انّ الولايات المتّحدة قد فقدت توازنها بشكل كامل بعد عمليات 11 ايلول (سبتمبر) واصبحت الآن تعاني من هلوسة امنيّة او فوبيا امن قومي ان صحّ التعبير وهذا ما ينعكس سلبا على طريقة رؤيتها للأمور.

يقول كيرك باتريك وهو احد الباحثين المساعدين في مركز الامن القومي للدراسات، انّ هذه الحجّة هي حجّة واهية ويسند كلامه هذا بالقول لو كان هذا صحيحا فلماذا لم يعترضوا على ادارة الشركة البريطانية لهذه الموانئ الامريكية خاصّة انّ ريتشارد ريد الملقّب بصاحب الحذاء المتفجّر هو بريطاني الجنسية!!

من وجهة نظرنا نستطيع ان نؤكّد ان المخاوف هذه ليست حقيقية وهي ان حصلت فستحصل بغض النظر عن جنسية الشركة المشغّلة او مقرّها او قدراتها وذلك لعدد من الأسباب منها:

أولا: صحيح انّ هذه الشركات المشغّلة للموانئ ستتولى العمل في هذه الموانئ منها واليها، لكنّ مسائل الامن في الموانىء وتفتيش الحاويات وحراسة الساحل قبالة هذه الموانئ ستبقى من اختصاص السلطات الامريكية الرسمية.

ثانيا: فيما يتعلّق بالعاملين في الموانئ هذه، فانّه على الشركات التي تديرها ومن بينها الشركة الاماراتية «اذا حصل الاتفاق النهائي» ان تختار العاملين من خلال جهتين امريكيتين حصريا (International Longshoremen's Association، International Longshore and Warehouse Union (ILWA)) و(ILA) تؤمّنان لمثل هذه الشركات العمّال اللازمين لادارة وتشغيل الميناء وجميع العاملين دون استثناء من الأمريكيين ومهمّتهم نقل البضائع من السفن الى الميناء ومن الميناء الى الشاحنات والعكس بالعكس. ومن هنا نستطيع ان نرى انّ الامريكيين سيكونون مسؤولين ايضا مباشرة عن نقل الامتعة من والى الميناء.

ثالثا: انّ هناك شركات اجنبية غير امريكية تدير عدّة موانئ امريكية ايضا، فلماذا لم تثار هذه القضيّة الاّ بوجه هذه الشركة الاماراتية؟! ثم انّ هذه الشركة الاماراتية تدير موانئ في كل من ألمانيا، الصين، استراليا، وكوريا الجنوبية وفقا لتقرير محطّة «سي. بي. اس» الامريكية، ومع ذلك لم يعترض هؤلاء عليها استنادا الى مسألة الامن القومي.

### العولمة والتحرر التجاري ينقلب كابوسا على امريكا

من المعلوم انّ العولمة الهادفة الى التحرر نهائيا من القيود وفتح الاسواق وتدفق الاستثمارات تقودها الولايات المتّحدة الامريكية في هذا العصر، وجميعنا يعرف هراء الكلام القائل انّ ذلك يحقق منافع متبادلة بين الدول الرأسمالية الكبرى والدول النامية او دول العالم الثالث صاحبة الموارد والطاقة واليد العاملة وكل شي، وانّ الولايات المتحدة وغيرها من الدول ما كان ليشجع ذلك لولا انّه غير مستفيد بشكل كبير وذلك عبر ممارسة نفوذه واغلاق الابواب امام الاستثمارات متى يشاء وحجز الاموال وتجميدها متى يريد. الامريكيون الآن يمرون في مرحلة ازمة امنيّة واخرى اقتصاديّة كبيرة جدا وهم من هذا الباب بدأوا يلمسون انّ الشركات الاجنبيّة تغزوهم من كلّ حدب وصوب عملا بقاعدتهم الشهيرة حول تحرير الاسواق وعولمة الشركات، وقد انعكس ذلك على نظرتهم وتصرفاتهم تجاه الآخرين، خاصّة انّ الولايات المتّحدة كانت قد منعت مؤخرا عبر قرار من الكونغرس شركة الصين الوطنية للبترول «سينوبك» من شراء «اونكل» النفطية الامريكية بحجّة انّ هذا الشراء يهدد الامن القومي الامريكي!

وضمن هذا الاطار، يسخر الكاتب «ديفد بروكس» من الوضع في امريكا قائلا: «شد انتباهي أن كثيراً جداً من البضائع الأجنبية المستوردة إلى بلادنا، يصنعها أجانب يتحدثون لغات أجنبية نجهلها، وأن الكثير من أنواع الحمص والخبز الذي يأتينا، إنما يصنعه العرب الذين تنتمي إليهم تلك المجموعة الإرهابية التي نفذت هجمات الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)! كما انتبهت أيضاً إلى الهيمنة الصينية المطلقة على كافة الألعاب والدمى والمنتجات التي نستخدمها في تسلية أطفالنا.

ولكل هذه الأسباب فلعله حان الوقت لصياغة مسودة قانون «أنقذوا أطفالنا» ضمن تشريعات الأمن القومي، شريطة أن يتخذ طابعاً عرقياً، يهدف ضمن ما يهدف، إلى منع المسلمين من شراء شركات إدارة الموانئ الأمريكية، وإلى منع الصينيين من شراء شركات النفط والشركات القومية المصنعة لألعاب الأطفال... إلخ. ولكي نوجز القول، فإن المطلوب لحماية أمننا القومي ونمط حياتنا الأمريكي، هو تنظيم حملة واسعة النطاق قوامها كره الأجانب ومعاداتهم، وهدفها إبراز وجهنا القومي الذي يؤكد للأجانب أننا لم نعد رهناً لأساليبهم الماكرة الخبيثة! وإن كنت ممن يجزعون لموعد انطلاق حملة كهذه، فلتكف عن الجزع طالما أن حمى الهستيريا القومية الانعزالية العامة قد اشتعلت سلفاً!».

ألم يع الامريكيون انّهم هدّدوا ويهدّدون الامن القومي لجميع دول العالم دون استثناء عبر شركاتهم العابرة للقارات وتكتلاتهم الاقتصادية، ويتلاعبون بالقرار السياسي لهذه الدول ويبتزّونها متى شاؤوا؟! لقد حان الوقت للأمريكيين ان يعرفوا قواعد اللعبة جيدًا، فهل سيفهمون ذلك، ام سنرى الولايات المتّحدة الامريكية بعد عشرين سنة تقف على رأس الدول المطالبة بالحد من الحريات التجارية والاستثمارات عندما تصبح هي ضحيّة لها وسلطتها السياسية رهنا باصحاب هذه الشركات من الجنسية الصينية او الاوروبية او حتى الاسلامية؟!

* باحث من الاردن
www.maktoobblog.com/alibakeer

# التغيير الرئاسي السوري: إعادة هيكلة الارتجال السياسي

غسان المفلح*

■ إن المتتبع للتغيير الذي أجراه السيد الرئيس بشار الأسد بتعيينه السيد فاروق الشرع نائبا للرئيس ومسؤولا عن الملف الخارجي والإعلامي وألحقه بمستشار أمني من العيار الثقيل وهو السيد اللواء المتقاعد محمد ناصيف والذي بقي على مدار ثلاثة عقود تقريبا يتسلم فرع دمشق لأمن الدولة أو ما يعرف في سورية بالفرع الداخلي. والعيار الثقيل تأتي من وزن السيد اللواء التاريخي داخل القرار الأمني وحتى السياسي في سورية وفي لبنان أيضا. أهي عودة للحرس القديم! أم هي تأكيد على الطبيعة الجوانية للنظام السوري؟ وهي طبيعة لم ولن تتغير على ما يبدو وكل الرهانات تذهب أدراج الرياح الرهان على أي تغيير ذي ملمح حقيقي، كما يؤكد أن هذه المجموعة لا تقبل أبدا أن يصبحوا مواطنين سوريين إلا إذا بقوا في السلطة وماتوا فيها ومن يعرف السيد محمد ناصيف يعرف انه ممن تزوجوا سلطة الرئيس الراحل حافظ الأسد. حتى أنه لم يكن يملك بيتا خاصا به وينطبق عليه القول انه (أفنى حياته في هذه السلطة) ولا أعرف حتى إن كان قد تزوج. وكان ينام ويستقبل ضيوفه وزواره العامين والخاصين في نفس مبنى الفرع الداخلي. وهو قليل الظهور إعلاميا كما أنه قليل ما ظهر اسمه في أي ملفات فساد. حيث الفساد مشرع أمامه من كل الجهات في دمشق باعتباره الشخصية الأقوى على مدار العقود الثلاثة التي بقي فيها في موقعه داخل ما يعرف بإدارة المخابرات العامة (أمن الدولة) وكان مقربا جدا من الرئيس الراحل. وساهم فرعه مساهمة قوية في تصفية تنظيم الأخوان المسلمين في دمشق أيام الصراع الدامي 1980 في سورية بين الأخوان والسلطة السورية. ببساطة هو شخص في السلطة منذ شبابه ولا زال رغم أنه تجاوز الخامسة والستين من العمر على ما أظن. كما يعرف عنه أنه يعرف كل شاردة وواردة في تطور الحياة الداخلية للسلطة السورية منذ بداية السبعينيات. وكان كفؤا في إدارة فرعه ومهامه. ويختلف عن الكثيرين من رموز المخابرات السورية السابقين بأنه لم يكن متشددا تجاه اليسار السوري عموما ولم يكن يعتبره خطرا على السلطة كما كانت الحال مع نظيره السيد اللواء علي دوبا كرئيس لشعبة المخابرات العسكرية في سورية. وتسلمه لمنصب جديد ولا نعرف درجة الصلاحيات في ظل وجود آصف شوكت وعلي مملوك وغيرهم من الرموز التي تمسك بزمام القرار الأمني في سورية. لكن نستطيع القول ان تعيينه من جديد في الشؤون الأمنية ربما ترضية أو استفادة من خبرته بعدما وصلت السياسة السورية إلى طريق مسدود يهدد كل النظام وبرمته.

كما أن تعيينه في طاقم نائب الرئيس والذي أعتقد وهذا ما يعرفه المواطنون السوريون أن السيد الشرع كان بحاجة إلى موعد سابق لمقابلة السيد ناصيف! ربما يوافق أو لا يوافق. وكأننا أمام علاقة عائلية بين مسؤولي السلطة السورية وتبادل للمواقع! كما أن تعيين السيد العميد بسام عبد المجيد وزيرا للداخلية وأظن أن هنالك الكثير من ضباط الشرطة أقدم منه رتبة وأعلى في الرتبة والقدم تؤكد أن السلطة السورية لا زالت في حالة ارتجال سياسي تغيب عنه المؤسساتية فما علاقة ضابط أمضى كل حياته العسكرية في شعبة المخابرات العسكرية والشرطة العسكرية بوزارة الداخلية وشؤونها؟!! ومجرد غياب المؤسساتية لن تحضر سوى علاقات ولاء لرأس السلطة فقط دون الأخذ بعين الاعتبار حتى أبسط القواعد كما تم سابقا تعيين ضابط متوسط اسمه محمد غباش وزيرا للداخلية وكانت غالبية ضباط وزارة الداخلية أعلى منه رتبة!! ولكن للحق القول ان هذه الأسماء الجديدة أسماء غاب حضورها عن لوحة الفساد في تاريخية السلطة السورية.

والكل في سورية يعرف أن غالبية الوزراء الحاليين لم يكونوا في يوم من الأيام خارج السلطة أو هوامشها المقربة لضباط الأمن التاريخيين في هذه السلطة ومنهم السيد محمد ناصيف نفسه لم يحضر تلوينا جديدا في التغيير الأخير للوزارة، ربما التلوين الوحيد هو عودة السيد ناصيف إلى الشق الأمني.

كما أن إشراف السيد فاروق الشرع على السياسة الاعلامية يجعلنا نعد للعشرة قبل أن نقول ان السياسية الإعلامية السورية ستتغير نحو الأفضل، وهو الذي لم يكن يقيم وزنا للإعلام كله حتى.. ومراجعة لتصريحاته في الكثير من المناسبات تؤكد ذلك.

ولدى المرء الكثير من الأسماء الذي يمكن استعراضها في هذا التغيير الأخير ولكنها كلها تؤكد على أن الارتجال السياسي وبعيدا عن أي شكل مؤسسي هو سيد الموقف والتغييرات السلطوية في سورية ليس إلا...

* كاتب من سورية

# التقاسم الوظيفي للسلطة الفلسطينية!

جواد البشيتي*

■ السياسة القوية، أي التي في مقدورها أن تشق الطريق الى تغيير في الواقع يُعتد به، انما تضرب جذورها عميقا في الحاجات الأساسية، وتمتثل للضرورات، فاذا أردت تغيير مواقف الناس فلا مفر لك من أن تبدأ هذا العمل بتغيير سلّم الحاجات والضرورات لديهم. وهذا العمل، بأشكاله ووسائله وأدواته المختلفة، هو ما قامت وتقوم به اسرائيل في صراعها مع الشعب الفلسطيني، الذي احتاج، وما زال يحتاج، الى حل نهائي لمشكلته القومية، فهذا الصراع، الذي تقف فيه الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل، انما يستهدف تغيير سلم الحاجات والضرورات لدى الفلسطينيين. ولا شك في أن الهدنة طويلة الأجل هي الهدف الكامن في كل ما يتعرض له الفلسطينيون من ضغوط.

الرئيس السابق للموساد افراييم هاليفي أوضح ذلك اذ قال ان التوصل الى هدنة، وليس الى اتفاق سلام، مع حماس هو الأمر الممكن واقعيا في الوقت الحاضر. ويُدرج الهدنة في اتفاقات مؤقتة طويلة الأجل، يدعو اسرائيل الى السعي من أجلها، فالاتفاق النهائي يحتاج الى مفاوضات، تحتاج الى أن تلبي حركة حماس شروطا ومطالب اسرائيلية لا يمكنها تلبيتها في الوقت الحاضر.

وفي رأي هاليفي، لا تحتاج اسرائيل، في الوقت الحاضر، الى مفاوض فلسطيني أكان من فتح أم من حماس، ثم ان هذا المفاوض لا وجود له؛ لأن لا فتح ولا حماس تستوفي، أو تستطيع استيفاء، الشروط الاسرائيلية لتحولها الى شريك فلسطيني في مفاوضات السلام.

وبعدما انتهى هاليفي من شرح الأسباب التي تجعل اسرائيل مصرة على أن لا وجود لهذا الشريك الفلسطيني تحدث عن أهمية وجود «عدو ذكي»، يتقن «لعبة الأمم»، كحركة حماس.

هاليفي انما يريد أن يقول ان الحل الذي تحتاج اليه اسرائيل في الوقت الحاضر، والى أن تجري رياح التغيير في الموقف الفلسطيني العام بما تشتهي سفينة الحل النهائي الاسرائيلية، هو الحل الانتقالي طويل الأجل والمقترن بهدنة طويلة الأجل.

وهذا الحل لا يحتاج الى وجود شريك فلسطيني تفاوضه اسرائيل؛ لأنه لا يحتاج لا الى مفاوضات سياسية ولا الى اتفاق سلام. انه يحتاج فحسب الى عدو فلسطيني ذكي، يتقن «لعبة الأمم»، أي يملك من القدرات ما يسمح له بجعل الهدنة توأما للأحادية الاسرائيلية في الحل والتي تؤسس لما تسميه اسرائيل الحل الانتقالي طويل الأجل.

في الوقت الحاضر، والى أن يصبح ممكنا أن يقبل الفلسطينيون حلا نهائيا، تمتزج فيه الوقائع التي تخلقها الأحادية الاسرائيلية في الحل بالمبادئ التي تضمنتها رسالة الضمانات، ليس من أفق لحل عبر المفاوضات، فالأقصى من «التنازل» الاسرائيلي غير مقبول فلسطينيا، وليس من مفاوض فلسطيني يستطيع تحمّل عواقبه.

لقد سدّت اسرائيل والولايات المتحدة أفق الحل عبر المفاوضات اذ أصرتا على أن يلبي الفلسطينيون شروطا ومطالب لا يمكنهم تلبيتها من غير أن يتخلوا عن معظم وأهم حقوقهم القومية. ثم شرعتا تحاولان سد أفق الحل عبر المقاومة العسكرية، معتقدتين أن مضاعفة عواقب هذا النمط من المقاومة ستجعل للفلسطينيين مصلحة في هدنة طويلة الأجل، تفوق مصلحة اسرائيل فيها.

حماس لا تجانب الحقيقة في قولها بأن أفق الحل عبر التفاوض مسدود اسرائيليا بالكامل، ولن يُفتح ولو أعلنت اعترافها بحق اسرائيل في الوجود، ونبذها لما يسمى «الارهاب»، والتزامها لكل الاتفاقات السابقة بين الفلسطينيين والاسرائيليين. ولو فُتح فلن يُفتح الا لحل نهائي يتخلى فيه الفلسطينيون عن معظم وأهم حقوقهم القومية.

وأحسب أن للفلسطينيين مصلحة حقيقية في أن تظل حماس مستمسكة برفضها تلبية الشروط والمطالب الاسرائيلية، التي يظهرونها بين الفينة والفينة على أنها شروط ومطالب دولية.

واذا جاز القول بضرورة أن تقوم حماس، عبر الحكومة التي تسعى في تأليفها، بـ «تصويب» لسياستها بصفة كونها حكومة فان التصويب الذي يحتاج اليه الفلسطينيون لن يكون، ويجب ألا يكون، من قبيل أن تعلن حماس قبولها لتلك الشروط والمطالب.

هذا التصويب انما يكمن في أن تُضمّن حماس البرنامج السياسي لحكومتها مواقف تُعبّر من خلالها عن موافقتها على قول الرئيس الفلسطيني محمود عباس «ان تفاوض الفلسطينيين مع اسرائيل يجرى باسم منظمة التحرير الفلسطينية التي أمثلها أنا».

وأحسب أن موقفا لحماس كهذا يمكنه تذليل كثير من العقبات من طريق قيام حكومة تشارك فيها فتح وتقودها حماس، ومن طريق اعادة بناء المنظمة بما يسمح لحماس بالانضمام اليها، وبنيل تمثيل في مؤسساتها وهيئاتها تراعى فيه نتائج انتخابات المجلس التشريعي.

وبفضل هذا «التقاسم الوظيفي»، الذي تكمن فيه مصلحة فلسطينية عليا، تتمكن حماس من أن تظل في موقع المعارضة على الرغم من تأليفها أو قيادتها للحكومة الفلسطينية. وهذه المزاوجة بين المعارضة والحكومة تُكسب حماس مزيدا من القدرة على خوض معركة في منتهى الأهمية هي معركة الاصلاح الداخلي الفلسطيني بكل أوجهه، وفي مجال مكافحة الفساد على وجه الخصوص.

وبفضله، أيضا، تستطيع حماس، وبالتعاون مع سائر المنظمات الفلسطينية، أن تؤسس لبنية تحتية لمقاومة فلسطينية شعبية شاملة لا تتحول فيها التهدئة مهما طالت، والتي ما زالت حماس تُظهر اهتماما ببقائها والحفاظ عليها، الى تلك الهدنة طويلة الأجل التي دعا اليها هاليفي، فاذا كانت الهدنة طويلة الأجل التي اقترحتها حماس مستحيلة اسرائيليا فان مثيلتها المقترحة اسرائيليا يجب أن تكون مستحيلة فلسطينيا.

وحماس لن تخسر شيئا اذا هي قبلت تقاسما وظيفيا كهذا، فاسرائيل لن تفاوض رئيس السلطة الفلسطينية؛ لأن لا حل لديها، في الوقت الحاضر، يحتاج الى مفاوضات مع أي شريك فلسطيني، ولأن الرئيس عباس لن يقف من حماس الموقف الذي تدعوه اسرائيل اليه، والذي يضر الفلسطينيين من غير أن يفيد السلام بشيء.

أما اذا أصبح ممكنا واقعيا، ومفيدا فلسطينيا، اجراء المفاوضات فان حماس لن تجد مشقة في التوصل الى اجماع فلسطيني على ضرورة أن يحظى كل اتفاق تتمخض عنه المفاوضات بقبول ممثلي الشعب الفلسطيني.

ان حماس تحسن صنعا اذا هي ركزت برنامجها الحكومي في قضايا الاصلاح الداخلي الذي يأتي بنتائج تؤسس لبنية تحتية لمقاومة شعبية طويلة الأجل لا تعطي اسرائيل، بصفة كونها قوة احتلال، من الهدوء الأمني الا ما يستمد شرعيته من مصالح عليا فلسطينية حقيقية، فالاصلاح الداخلي بأوجهه كافة انما هو مهمة فلسطينية حقيقية لا يشوبها وهم، بينما السلام، أكان مفاوضات أم اتفاقات، لا يستحق أن تنازع حماس غيرها فيه، مع أن وضع الأمور في نصابها، أو ابقاءها فيه، يستلزم استمرار الاجماع الفلسطيني على ضرورة أن تبقى المنظمة هي المرجعية العليا للشعب الفلسطيني في كل ما يخص عملية السلام، فعدا ذلك لن يفضي الا الى حلول هي المقبرة بعينها بالنسبة الى الحقوق القومية للشعب الفلسطيني.

* كاتب ومحلل سياسي فلسطيني ـ الاردن

# في رحاب الأكروبوليس: الاشتراكية ما تزال موجودة!

محمد بنعبد القادر*

■ قبل أن تتخذ الاشتراكية صيغة عقائدية جامدة كانت ردة فعل اخلاقية ضد جموح الرأسمال واتساع الفوارق بين الناس، وقبل أن تنغلق في قوالب مذهبية جاهزة كانت بالأحرى اندفاعة فلسفية مستنيرة تجترح أسئلة التضامن والعدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر.

وأي مكان في الدنيا يليق باستعادة ملكة الاندهاش واستئناف السؤال الفلسفي غير أثينا مهد التفلسف وترويض العقول؟

هنا تحت ظلال الاكروبوليس اجتمع الاشتراكيون من كل البقاع والآفاق لمساءلة الذات والعالم، وكأنهم جاؤوا لتقويض البداهات أو لاستلهام أصداء تلك الهمسة السقراطية الخالدة «اعرف نفسك»، من أجل أن يعيدوا صياغة السؤال حول ما تبقى في الذات الانسانية من خير وحق وجمال.

هنا بقايا أصوات مخلخلة وبقايا سحر آسر، على الشمال تماثيل مرمرية للعذراوات التي تقوم مقام الأعمدة، وعلى اليمين مسرح ديونوسيوس الذي منه خرجت الملاحم اليونانية القديمة وعلى خطوات تبدو هضبة الاكروبوليس مثل معشوقة مهجورة في ثياب العرس.

في رحاب هذه الاثينا التي صدرت للدنيا التراجيديا واللوغوس والديمقراطية، عقدت الأممية الاشتراكية مجلسها لتعميق النظر وحشد المبادرات من أجل قضايا السلم والديمقراطية والتنمية وحوار الحضارات.

فمن أين يبدأ السؤال، أمن عتبات الالفية الثالثة أم من حطام القرن الماضي؟ فلتعد عقارب الساعة قليلا الى الوراء.

من أول طلقة نارية في الحرب العالمية الأولى الى آخر صخرة هوت من جدار برلين، يمتد قرن من اعنف القرون في تاريخ الانسانية، وكان بحق كما سماه المؤرخ ايريك هوبزباوم L'age des extremes عصر الاقاصي، عصر التراجيديات الكبرى والتقدم الاعظم، عصر الحروب المدمرة والشموليات الطاغية والازمات الخانقة، ولكنه كان ايضا عصر استقلال الأمم وسيادة الشعوب وانهيار الاستبداد وتحرر النساء وانتشار القيم الكونية للديمقراطية وحقوق الانسان، وكان ايضا عصر تقدم العل